

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 21 العدد 01 2025/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

جدل الديني والأسطوري في الأنثروبولوجيا الدينية (قصة الطوفان أنموذجا)

The religious and mythological debate in religious anthropology (the flood myth as a model)

علاقي عبد اللطيف *

جامعة باجي مختار (عناية) - الجزائر -

allaguiabdelatif@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/12/08

تاريخ الاستلام: 2024/11/30

ملخص:

يتناول هذا المقال أحد تجليات الأسطورة كمفهوم أنثروبولوجي من خلال قصة الطوفان الحاضرة في أغلب الموروثات الميثولوجية للعالم القديم، وحتى في الذاكرات الجماعية لشعوب أمريكا الوسطى والشعوب الاسكندنافية، كما نحاول أن نبين بشكل أساسي التداخل بين الأسطورة السومرية والبابلية عن الطوفان، وبين القصة التوراتية المتأثرة بالمناخ الثقافي لبلاد ما بين النهرين في مرحلة السبي البابلي.

نرمي من خلال هذه الورقة البحثية لإبراز الفروق الجوهرية بين الرواية التوراتية عن الطوفان، وبين استرجاع القرآن الكريم لذات القصة استرجاعا نقديا عبر الفصل بين الأسطوري والديني فيها. الكلمات الدالة: الطوفان، التوراة، الأنثروبولوجيا الدينية، ملحمة جلجامش.

Abstract:

This research paper deals with one of among the manifestations of mythology as an anthropologic concept through the story of the nowadays flood in most mythic legacies of the ancient world and even in the collective memoires of the people of Central America and the Scandinavian, we also try to demonstrate basically the overlap between Sumerian and Babylonian mythology the Flood and between the story in the Torah which was influenced with the cultural climate of Mesopotamia during the Babylonian Captivity.

* المؤلف المرسل: علاقي عبد اللطيف، الايميل: allaguiabdelatif@gmail.com

The Paper also indicates the fundamental differences between the Torah narration about the Flood and between the Koran retrieval of the story critically by the separation of the religious and the mythic.

Keywords: the Flood, Torah, religious anthropology, Epic of Gilgamesh.

مقدمة:

مدفوعة بخلفيتها العلمانية، لا تهتم الأنثروبولوجيا الدينية بصحة الأسطورة من عدمها، أو لنقل أن التحقق التاريخي للقصة الأسطورية لا يشكل جوهر البحث الأنثروبولوجي. تهتم الأنثروبولوجيا بدلا من ذلك بكيفية تطور الأسطورة وتظاهراتها وآلية اشتغالها والوظيفة الرمزية التي تؤديها في الممارسات الدينية للجماعات البشرية.

كما يعتبر الانتماء الديني للباحث الأنثروبولوجي عائقا ابستمولوجيا يحول بين الباحث وبين حياده العلمي ويطعن بشكل أو بآخر في موضوعية دراساته حول مواضيع تنتمي للحيز العام لمعتقداته الأصلية. تدور إشكالية هذه الورقة البحثية حول جدلية البعد الديني والأسطوري في قصة الطوفان؟ وسنحاول من خلال هذا العمل تناول هذه القصة الحاضرة بشكل مثير في معظم مدونات الميثولوجيا الشرقية، سواء كانت مصرية أو سومرية أو بابلية أو غيرها، كمثال تطبيقي عن التناول الأنثروبولوجي للأساطير الدينية، ولنكشف مدى التقاطعات الموجودة، والروابط الموضوعية بين هذه النسخ الأسطورية، ثم نقوم بمقارنتها بالرؤية التوراتية عن الطوفان لتبيان مدى التداخل القصصي بينها.

أولا: الأسطورة كمفهوم أنثروبولوجي

تختلف الأسطورة « Mith » في السياق الغربي عنها في السياق العربي، فالأسطورة عند العرب هو حديث باطل لا أصل له، قال ابن منظور: "الأساطير الأباطيل، والأساطير أحاديث لا نظام لها" (ابن

منظور، د. ت، ج7، ص182) إلى أن قال: "يقال يسطّر ما لا أصل له، أي يؤلّف" (ابن منظور، د. ت، ج7، ص182).

أما في السياق الغربي فإن للأسطورة عدة معان أخرى، إذ لا ترتبط فقط بالحكايات التي لا أصل لها، بل إن لها مجموعة من الدلالات الخافة « Connotation » بخلاف ذلك، إذ أن "الأسطورة، أو التركيب الأسطوري للحكايات الشعبية ليس وهما أو خيالا صرفا كَلّه، وإنما يستند على أساس من الواقع يشبه النواة المركزية المغلفة بأغلفة من صنع الخيال" (محمد أركون، 1998، ص35). وهذا ما يمثل التعريف والدلالة الأنثروبولوجية الحديثة لكلمة أسطورة، فالأسطورة بهذا المعنى تفسر الشعيرة أو الطقس لدى جماعة بشرية معينة، وهي بهذا الاعتبار تمثل الجانب النظري من الشعيرة.

تروي الأسطورة "أحداثا رئيسية تهدف إلى شرح سبب وجود العالم في صورته الحالية، فهي تمثل إذا شكلا من أشكال التساؤل عن العالم" (كلود ريفيير، 2015، ص99)، وهذه وظيفة أخرى من الوظائف التي تضطلع بها الأسطورة. كما أنها "تقوم بتحديد الرموز الخاصة بالدين والآباء والأخلاق والاقتصاد التي يجب أن يلتزم بها أفراد المجتمع، كما تشمل القيم والمعارف التي تحدد هوية أي جماعة" (كلود ريفيير، 2015، ص99).

فالأسطورة هي الوعاء الثقافي للجماعات البشرية التي تحوي تساؤلاتها عن الكون والوجود، والتي تحدد منظومتها القيمية والأخلاقية، كما تمثل أيضا الأساس النظري لتشريعاتها وقوانينها، وبالنظر إلى البنية الشعرية للأسطورة فهي أيضا بمثابة التراث الأدبي للجماعة البشرية.

يولي علماء أنثروبولوجيا الأديان أهمية خاصة للأساطير نظرا لما تحويه من أفكار مجردة ومعتقدات يتم التعبير عنها من خلال استعارات ورموز، كما يلجؤون إلى المقارنة المنهجية بينها (كلود ريفيير، 2015، ص99) من حيث تعدد مواضيعها، كنشأة الكون، وظهور البشر، وأصل الشر وغيرها.

ثانيا: قصة الطوفان في الحضارات القديمة

لا يكاد يخلو موروث حضارة من حضارات الشرق القديم من ذكر قصة الطوفان، فنجد مثلا في الموروث الحضاري اليوناني القديم، كما نجده عند السومريين والبابليين، وحتى في حضارة المايا هناك إشارة إلى قصة الطوفان الكبير الذي يعم الأرض ويفني الأحياء.

تختلف تفاصيل الطوفان وشخصياته من حضارة إلى أخرى، كما تختلف الدوافع والأسباب المباشرة لغضب الآلهة على البشر وقرار معاقبتهم بالطوفان، إلا أن ما يثير الدهشة حقا هو توافد كل هذه السرديات على ذكر هذا الحدث العظيم، وكذا على مصدره الإلهي. إن فكرة التناقص والتبادل البين-حضاري لا تكفي وحدها للإجابة عن مصدر القصة الأصلي، فمع التفاوت الزمني لهذه القصة أو الأسطورة من موروث إلى آخر يصعب تحديد منطلق أصلي لها، كما يصعب أيضا جعل أي من هذه الحضارات ذات سبق أو أحقية بها. يمكننا فقط بالمقابل الوثوق، ولو من الناحية النظرية، بمصدرة أخرى سابقة لكل هذه الموروثات، ومختلفة كلياً عنها. فتكون بهذا الاعتبار كل سردية من هذه السرديات نسخة معدلة، أو لنقل مشوهة من القصة الأصلية.

لا يمكننا في هذه العجالة التطرق بالتفصيل لقصة الطوفان في كل الموروث الشرقي القديم، أو في الميثولوجيا اليونانية، ولكننا سنكتفي بدلا من ذلك بالحديث عنها عند السومريين والبابليين، وكذا في المدونة التوراتية نظرا للترابط الكبير بين النسخة التوراتية لقصة الطوفان، وبين النسخة السومرية والبابلية، حيث يمكننا افتراض تأثر واضح للرواية التوراتية بمحيطها البابلي، خاصة من خلال الالتقاء الثقافي المباشر بين اليهود والبابليين بعد السبي البابلي.

1- الطوفان عند السومريين

بالنظر إلى سبقها الزمني تعتبر الأسطورة السومرية عن الطوفان أقدم نسخة وصلت إلينا من بقية الحضارات الشرقية، وبهذا تعتبر بحسب بعض الباحثين الأسطورة المؤسسة التي تتفرع منها بقية الأساطير، سواء في بلاد الرافدين كالبابلية، أو في اليونان أو غيرها. يقول فراس السواح: "تؤسس الأسطورة السومرية

لأقاصيص الطوفان التي شاعت في المنطقة، كما أسست من قبل أقاصيص التكوين" (فراس السواح، 2022، ص 161).

ورغم أن اللوح الفخاري الذي يحوي الأسطورة السومرية عن الطوفان قد عثر عليه بحالة سيئة في خرائب مدينة "نفر" السومرية، إلا أنه يمكننا، ومن خلال ذات اللوح، معرفة العناصر الأساسية في القصة. تتحدث الأسطورة في مطلعها عن بداية الخلق وظهور مدن إلى حيز الوجود، هي: إريدو، باديتيرا، لاراك، شروباك. كما يذكر النص المحاور التالية في القصة:

* قرار مجمع الآلهة بإهلاك البشر عن طريق الطوفان.

* عدم رضا بعض الآلهة عن هذا القرار.

* اختيار واحد من البشر ليقوم بإنقاذ بعض البشر من الطوفان.

* انتهاء الطوفان ونجاة مجموعة من البشر ومكافأة بطل الطوفان بمنحه صفة الخلود.

في القصة السومرية نجد أن الإله "إنكي" هو الذي يخرج عن إجماع الآلهة ويقرر أن ينقذ بذرة الحياة، فيتصل بالمبك "زيوسودرا" الذي كان انسانا صالحا، ثم يعطيه خطة لإنقاذ الحياة عن طريق بناء سفينة لحمل الصالحين من البشر وبعض الحيوانات (فراس السواح، 2022، ص 162).

بعد انتهاء الطوفان ونجاة "زيوسودرا" ومن معه من البشر الصالحين، يقدم قرابين للآلهة فيذبح ثورا وكبشا، وينعم بالخلود في جنة "دلون" السومرية، وهي "مرتع الآلهة وقلعة قليلة من البشر الذين أنعم عليهم بالخلود" (فراس السواح، 2022، ص 164) ولم تكن الجنة بالنسبة للسومريين هي مكان في العالم الآخر، فلم يكونوا يؤمنوا بحياة أخرى.

2- قصة الطوفان البابلية

نجد ذكر قصة الطوفان عند البابليين من خلال ملحمة "جلجامش"، هذه الشخصية المثيرة التي يعتقد الباحثون أنها شخصية تاريخية قد عاشت بالفعل، فبالإضافة إلى ظهور شخصية "جلجامش" في الملحمة البابلية المشهورة، فقد ذكر أيضا في بعض النصوص السومرية، بل "إن الوثيقة المعروفة بثبت ملوك سومر

تأتي على ذكر جلجامش باعتباره خامس ملك حكم أوروك بعد الطوفان" (فراس السواح، 1987، ص26). وبالتالي فإن الوجود التاريخي لشخصية جلجامش متحقق من عدة مصادر تاريخية.

أما بالرجوع إلى القصة في تفاصيلها، فإننا نعث على إشارة إلى الطوفان من خلال رحلة جلجامش للبحث عن سر الخلود. ويبدو أن القصة البابلية تأثرت كثيرا بالقصة السومرية عن الطوفان، وأن الكتاب البابليين قد "تبنوا موضوعاتها وخطوطها العريضة، لكنهم أضافوا إليها آفاقا وجوانب وشخصيات جديدة، وهو ما فعلوه مع معظم التأليف الأدبية ذات الأصول السومرية" (إيمان محسن جبر، 2020، ص320). فبطل القصة البابلية هو "أوتونابشتم" في مقابل "زيوسودرا السومري" يقصده جلجامش ليسأله عن سر الخلود الأبدي، فيخبره أنه وحين كان يعيش في مدينته "شروباك" أخبره الإله "إنكي" أن مجمع الآلهة قد قرر إفناء البشر بسبب ضجيجهم وإزعاجهم للآلهة، وكلفه أن يصنع سفينة لإنقاذ البشر، حيث تلقى تفاصيل ذلك عن طريق الحلم كي لا ينكشف الأمر.

وتسرد الملحمة تفاصيل ما فعله بطل الطوفان البابلي وفق تعليمات "إنكي" وتذكر أن الآلهة أنفسهم ذعروا من هول الطوفان وهربوا صاعدين إلى السماء (فراس السواح، 2022، ص170). كما تذكر القصة أن السفينة استقرت على جبل "نصير" ثم أخذ بطل الطوفان في إطلاق حمامة فعادت إليه لأنها لم تجد مستقرا من اليابسة، ثم فعل نفس الشيء مع السنونو فعاد، ثم أطلق غرابا فلم يعد لأنه وجد أن الماء قد انحسر، ومن ثم أطلق باقي الحيوانات، وقدم بعد ذلك أضحية دون أن يحدد النص نوع هذه الأضحية. فأكلت الآلهة من الأضحية إلا "إنليل" إذ كان هو سبب الطوفان، ومع ذلك فقد تمّ مباركة بطل الطوفان ومنحه الخلود هو وزوجته.

هذا باختصار نص قصة الطوفان البابلية كما هو مثبت في ملحمة جلجامش.

ثالثا: الطوفان في النص التوراتي

يأتي ذكر قصة الطوفان في التوراة في سفر التكوين، وهو أحد الأسفار الخمسة للتوراة. إلا أن بعض الباحثين يعتبرون أن سفر التكوين بالذات يُنسب إلى النبي يوسف عليه السلام، وأن التوراة التي ضاعت

بعد دمار الهيكل الأول تم إعادة كتابتها بواسطة "عزرا" الكاتب، دون الاعتماد على النص الأصلي للتوراة. ومع ذلك فإنه من الناحية الرسمية يشكل سفر التكوين إلى جانب سفر اللاويين والتثنية والعدد والخروج، ما يعرف بتوراة موسى بالنسبة لليهود، والعهد القديم بالنسبة للمسيحيين، في مقابل العهد الجديد الذي يشكل معه ما يسمى بالكتاب المقدس.

بالعودة إلى قصة الطوفان في التوراة، نجد أن المحاور الأساسية للقصة تتقاطع إلى حد كبير مع القصة السومرية والبابلية. وقبل الدخول في مقارنة مباشرة بين القصة التوراتية والقصة البابلية والسومرية ينبغي أن نحدد أولاً الملامح العامة لقصة الطوفان كما وردت في سفر التكوين.

ترد قصة نوح في التوراة، في سفر التكوين بداية من الآية 29، حيث يذكر السفر ميلاد نوح، بعد ذكر ذرية آدم وأولاده ذكراً مفصلاً فيه أعمارهم وأنسابهم، ويذكر بعد ذلك أنه قد "وَلَدَ نوح ساما وحاماً ويافث" (سفر التكوين، الاصحاح 5، الآية 32)، ثم يذكر السفر بعد ذلك أن الشر والظلم قد انتشرا بين بني البشر دون أن يذكر أنواع هذه الشرور، ثم يورد السفر ندم الله وحزنه أنه خلق الآدميين، ثم يأتي القرار الإلهي: "أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة، الإنسان مع بهائم ودبّابات وطيور السماء لأنني حزنت أني عملتهم" (سفر التكوين، الاصحاح 6، الآية 7). ثم يذكر السفر أن نوحا كان رجلاً باراً وصالحاً، فيأمره الله ببناء سفينة، ويتوسع السفر في ذكر صفات السفينة؛ طولها وعرضها وارتفاعها؛ مع تفاصيل أخرى، وكذا من سيركب معه السفينة من البشر والحيوانات، ثم بعد حدوث الطوفان الذي دام أربعين يوماً ونجاة نوح ومن معه، يصف السفر الآثار المدمرة للطوفان: "فمات كل ذي جسد كان يدبّ على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش، وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض، وجميع الناس" (سفر التكوين، الاصحاح 7، الآية 21)، ثم يسرد نهاية الحدث وآثاره المدمرة، وأن نوحاً أرسل غراباً فلم يجد له موطئ قدم فعاد، ثم أرسل حمامة فرجعت أيضاً، وفي المرة الموالية بعد سبعة أيام أرسل الحمامة فرجعت بغصن زيتون، فعلم نوح أن المياه قد قلت، ثم أرسلها مرة أخرى فلم تعد إليه، وبذلك انتهى الطوفان وخرج نوح ومن معه من البشر والحيوانات. بعدها بنى نوح مذبحاً وقدم عدة قرابين من الحيوانات الطاهرة، وهكذا تنتهي القصة بتعهد الإله

بأن لا "يلعن الأرض من أجل الإنسان" (سفر التكوين، الاصحاح 8، الآية 21) وأن لا يفني الأحياء كما فعل، وكأنه ندم على قراره الأول.

من الملفت في القصة التوراتية عن الطوفان أن غضب الرب الذي عمّ الأرض بسبب ظلم البشر وشروهم، لم يكن متعلقا بدعوة نوح وتمرد قومه على هذه الدعوة، فلا يذكر السفر شيئا عن هذه الدعوة، فقط يخبرنا سفر التكوين أن نوحا كان رجلا صالحا وبارا في طريق الله. من مسلمات القصة التوراتية أيضا أن الطوفان كان شاملا لكل الأرض، ولم يكن خاصا بقوم نوح، وهذه تفاصيل محورية في القصة التوراتية.

رابعا: التقاطعات الموجودة بين النص التوراتي والنصوص السومرية والبابلية

- * أولى التقاطعات بين القصة البابلية والتوراتية أن الطوفان كان نتيجة غضب الآلهة على البشر، مع ملاحظة أن جمع الآلهة في القصة البابلية يقابله "يهوه" أو "إلهيم" في القصة التوراتية.
 - * التقاطع الثاني في ذات القصة هو أن الطوفان لم يكن انتقاما لنوح ودعوته، وإنما كان نتاج غضب الآلهة بسبب تكاثر البشر وضجيجهم في القصة البابلية، أو نتيجة شرو البشر وظلمهم في القصة التوراتية. ولم يكن نوح بهذا الاعتبار إلا مكلفا من الإله "إنكي" الذي كان معارضا لقرار الطوفان في القصة السومرية والبابلية، ومن "يهوه" الذي اختاره لبناء السفينة في القصة التوراتية.
 - * من التقاطعات أيضا أن الطوفان يعمّ كل الأرض وكل بني البشر في القصة البابلية ولا ينجو إلا نوح وزوجته، وكذلك في القصة التوراتية كما مرّ معنا سابقا. إضافة إلى كثير من التفاصيل التي تتعلق ببناء السفينة وأوصافها واستعمال نوح للحمامة والغراب للتأكد من انحسار المياه بعد الطوفان.
- إن أولى الإشكالات المطروحة هي فكرة أن الطوفان كان عالميا وغمر كل الأرض، وهذا ما تمّ دحضه تماما "واتجه الباحثون إلى أن الطوفان كان محليا" (منصور عبد الحكيم، د. ت، ص 201). لكن من أين أتت فكرة الطوفان الذي عمّ كل الأرض في الرواية التوراتية؟ من أين أتت كل تلك التفاصيل المطابقة للقصة

البابلية والسومرية عن الطوفان؟ والتي لا تختلف تقريبا سوى في اسم بطل الطوفان الذي يتحول من "زيوسودرا" في القصة السومرية إلى "أوتونابشتيم" في القصة البابلية، وإلى "نوح" في القصة التوراتية. كذلك فإن تصوير الإله بتلك الصفات البشرية باتخاذ قرار متعجل بإهلاك البشرية ثم الندم عليه لا يتناسب مع المعتقدات السماوية عن الله، بل هو أُلصق بالصور الميثولوجية للشعوب القديمة عن الآلهة، حيث تصورهما على هيئة البشر. فبعد هذا القرار المتعجل يندم الإله في سفر التكوين ويتعهد أنه لن يهلك البشر بطوفان مماثل في المستقبل.

إن إقامة اليهود العبرانيين في بابل بعد السبي وضياع التوراة التي تلقاها موسى، ثم إعادة كتابتها وخلطها بالمرورث السومري والبابلي الذي أشربوه أثناء مكوثهم في بابل، هو ما يفسر امتزاج قصة الطوفان التوراتية بالقصة السومرية والبابلية.

سنحاول من خلال الأسطر الموالية عرض الرواية القرآنية عن الطوفان لنرى كيف يسترجع القرآن هذه القصة ويضعها في سياقها الرسالي الصحيح كحلقة في سلسلة النبوات وسنن الله فيها من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

خامسا: الطوفان في القرآن الكريم

إن من أكبر الأدلة على الصحة التاريخية لقصة الطوفان وأنها لا تتعلق بالخيال الأسطوري الجامح للشعوب القديمة، أننا نجدها في معظم الثقافات الشفهية القديمة مع تباين الأعراق وتباعد البلدان، فهو حدث تحمله البشرية في ذاكرتها الجماعية وترويه عبر الأجيال، وإن كان من الطبيعي أن تختلف السرديات الكثيرة حول هذا الحدث بالإضافة والزيادة والنقصان، ولكن تواتر هذه الروايات يؤكد على أصل القصة. يقول إسماعيل مظهر: "في كل التقاليد الميثولوجية، قديمة وحديثة، نقع على قصص عن الطوفان تختلف في التفاصيل والأوضاع لكنها تتفق في الجوهر والغاية" (إسماعيل مظهر، 1929، ص 66). وإذا كان الطوفان قد حدث بالفعل، فما هي الرواية الصحيحة لهذه القصة؟

من خلال تناول القرآن الكريم لقصة الطوفان سنحاول أن نضع فاصلا بين الحقيقة الدينية والأسطورة الإنسانية، وأن نكشف التداخل بينهما كما هو حاصل في النص التوراتي، وهذه هي الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم عندما يتعلق الأمر بالتراث الكتابي السابق عليه، فهو يؤكد على الحقيقة الدينية الموجودة في هذه الكتب ويصفيها من الشوائب الأسطورية التي علق بها، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ (سورة المائدة، الآية 48). وهذا خلاف ما تفعله الروايات الإسرائيلية التي تلوي أعناق الآيات المحكمة لتتوافق مع التراث الكتابي الممتزج بأساطير الأولين.

بالرجوع إلى قصة الطوفان نجد أن القرآن الكريم يخبرنا أن نوح قد أرسل إلى قومه خاصة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة نوح، الآية 1)، وبالتالي فإن الأمر يتعلق هنا بقوم من الأقوام داخل إطار جغرافي محدد، وكل الأحداث التي ستعقب هذه الرسالة هي أحداث زمان ومكان محددين.

ثم إن سبب غضب الله على قوم نوح يتعلق أساسا بانحراف عقدي وقعوا فيه، وهو الشرك، ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (سورة نوح، الآية 23). ولم يكن ذنبا مبهما كما في القصة التوراتية، والعقاب بواسطة الطوفان مثلما هو العقاب بالصيحة أو بالريح الصرصر العاتية أو غيرها من العقوبات الإلهية للأمم المتمردة على رسالات الله.

وهكذا فإن القرآن الكريم إذ يربط العقوبة الإلهية على الذنب البشري حيث يتجلى العدل الإلهي، فإنما يبين بذلك سنته في خلقه من إثابة أتباع الرسل ومعاقبة أعدائهم، ثم يذكر لنا قصص الماضين للعبارة والاعتاظ، ولذلك لا يدخل القرآن في تفاصيل صناعة الفلك ولا في كيفية رسوها وما رافق انتهاء الطوفان من تفاصيل، وهو ما تعج به الرواية التوراتية التي تأتي بأكثر هذه التفاصيل من الأسطورة البابلية.

في مقابل ذلك نجد أن تفاصيل أخرى مهمة في ترسيخ أسس الإيمان مغفلة في القصة التوراتية، فلا ذكر فيها لابن نوح الكافر الذي أهلكه الطوفان، ولا لامرأته التي لم تكن في مستوى القرى من البيت النبوي فهلكت مع الهالكين، وهذا ما يثبت قيمة أساسية من قيم الإيمان حيث لا ينفع نسب من كفر بالله.

خاتمة:

إن قصة الطوفان كما وردت في التوراة، وكما هي متلقاة في الوحي القرآني لتؤكد على أهمية قراءة الذكر الحكيم بمعزل عن أي تأثير آخر لكل الموروثات الدينية أو الأسطورية، كما تؤكد إعادة قراءة كل هذه الموروثات انطلاقاً من الإشارات القرآنية والاهتداء بها من أجل استرجاع نقدي حقيقي للموروث الديني الإنساني.

قائمة المراجع:

- 1- ابن منظور، جمال الدين. (ج. ت). لسان العرب. دار صادر. بيروت.
- 2- أركون، محمد. (1998). تاريخية الفكر العربي والإسلامي. ترجمة هاشم صالح. مركز الإنماء القومي.
- 3- ريفيير، كلود. (2015). الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان. ترجمة أسامة نبيل. المركز القومي للترجمة. القاهرة.
- 4- سفر التكوين، الاصحاح 5-6-7-8.
- 5- السواح، فراس. (1987). كنوز الأعماق، قراءة في ملحمة جلجامش. العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- 6- السواح، فراس. (2022). مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة: سوريا وبلاد الرافدين. مؤسسة هنداوي.
- 7- عبد الحكيم، منصور. (د. ت). طوفان نوح في القرآن الكريم والأساطير القديمة. دار الكتاب العربي. القاهرة.
- 8- القرآن الكريم.
- 9- محسن جبر، إيمان. (2020)، دراسة تاريخية ولغوية لحادثة الطوفان في بلاد الرافدين. مجلة كلية الشريعة. جامعة واسط. العدد التاسع والثلاثون.
- 10- مظهر، إسماعيل. (1929). قصة الطوفان وتطورها في ثلاث مدن قديمة. دار العصور للطباعة والنشر. مصر.